Istanbul Journal of Arabic Studies (ISTANBULJAS)
http://dergipark.gov.tr/istanbuljas
Volume 2, Issue 2, 2019-2, p.219-245
Submission /Başvuru: 19 March/Mart 2019
Acceptance /Kabul: 03 December/Aralık 2019

Al' Itbaa (The Following) in the "Resālat al-Ḍab" (Message of Lizard) by Sheikh Mohammed al-Bashir al-Ibrahimi: A Grammatical Presentation and Epistemological Exploration

Abdelkader Sellami •

Abstract
Resālat al-Ḍab (Lizard Message), of Sheikh Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi is a letter written by thedignified Imam to his student Ahmed bin Abizaid Qusayba on 11 Shawwal 1359 AHS corresponding to November 1940, apologizing, mercy upon his soul, for his previous statement: «I have been a self-dependent of these grass snake» when he gave "Ahmed" the Imam's sona mummified lizard and a monitor as a gift. This message is considered as one of the most important writings in the art of the «Tarassol» (a writing method which is a transmitted speech, not restricted by rhyme or coyote) in modern Algerian and Arabic literature, however, it included epistemological and cultural innovations worthy in the Arabic linguistics, as Sheikh Ibrahimi did in his study of the Arab saying "this is lizard destroyed hole" as a model of Grammar follow. So, this paper seeks to study details in order to review this most important model between language and grammar.

Keywords

Following, Lizard Message, Exploration, Syntax, Epistemology.

• Prof. Dr., University of Tlemcen – Algeria (skaderaminaanes@gmail.com).

الإتْبَاعُ في "رسالة الضبّ" للشيخ محمد البشير الإبراهيمي
-عرض نحوي وتخريج إبيستيمولوجي-

أ/د. عبد القادر سلاّمي•

ملخص

"رسالة الضبّ" للشيخ محمد البشير الإبراهيمي رسالة وجّهها الإمام الجليل إلى تلميذه الأستاذ أحمد بن أبي زيد قصيبة بتاريخ 11 شوال 1359هـ الموافق لنوفمبر 1940م، معتذراً -رحمه الله- عن قول سابق له: "شَبَبْتُ عن طوق هذه الأحناش"، بعد أن أهداه ضبّاً محنّطاً ووَزَلاً للطفل "أحمد" نجل الإمام. ولئن عُدّت هذه الرّسالة من أهمّ ما كُتب في: فنّ الترسّل" في الأدب الجزائري والعربي الحديث إلا أنّها تضمّنت تخريجات معرفية و ثقافية جديرة باللسانيات العربية، على النّحو الذي عمد إليه الشيخ الإبراهيمي في وقوفه على قول العرب" هذا جُحر ضبٍّ خربٍ" مثالاً للإتباع النّحوي، وهو ما تسعى المداخلة التالية إلى تفصيل القول فيه، وبما يكفلُ استعراض أهمّ نماذجه بين اللغة والنّحو.

الكلمات المفتاحية

الإتباع، رسالة الضب، التخريج، النحو، الإبيستيمولوجيا.

• أستاذ التعليم العالي ،جامعة تلمسان-الجزائر، البريد الإلكتروني: (skaderaminaanes@gmail.com).

Extended Abstract

This article seeks to shed light on a particular Arabic grammar issue that is little known, i.e., al' itbaa in Arabic (the Following) which has been treated by great ancient Arab grammarians. The treatise we deal here with is that written by Cheikh El-Bachir El-Ibrahimi as Lizard Message in 1940 when he sent this letter from his exile in Aflou, Algeria, to his former student Ahmed Bnou Abi Zeyd Kosseiba in apology for having previously offended him. The offense was when the latter gifted El-Ibrahimi's son with a stuffed lizard and the cold reaction he had received from the father, who wrote him a letter telling him that he no longer admired those "serpents". In order to repair his offending gesture he wrote a long linguistic and grammatical letter in which he associated the lizard with an old Arab saying about this reptile that goes: "this is lizard destroyed hole". In this saying there is exceptionally an accepted grammatical mistake which had been tolerated by the grammarians and even made to mean that the phenomenon of Itbaa "the Following" really exists in Arabic and this is an instance of it. Itbaa happens when two words are adjacent in the sentence and are supposed to behave grammatically in a different way, but because of assonance and emphasis considerations the last word is made to have the same ending and sounding as the preceding one, though this might be a grammatical mistake. Here the second word follows the first one and this is why it is called "itbaa" (the Following).

Sheikh El-Bashir El-Ibrahimi expounds in his treatise on the Arabic writings on the lizard and stated different sayings about it to indicate its importance in Arab culture. He also makes a review of the literature on the issue of the grammatical "Itbaa".

Actually, the treatise was just a pretext for El-Ibrahimi to start a scholarly reflection on the lizard and expose an extensive array of writings and scientific findings on this reptile as well as what was said about it in hadiths and the Quran. It was also just a trigger for the grammatical debate on the itbaa on which El-Ibrahimi made his final decisive view.

Thus, the treatise of El-Ibrahimi could be a literary, scientific and linguistic exposition patterned after famous old-time Arab writers such as Al-Jahid in his book Al-Hayawane. (the Animal).

Itbaa is a phonological and structural phenomenon known by Arab linguists since early times. Ibnu Faris (died in 395 Hijra) described it as: "… [Itbaa] happens when a word is formulated with the same structure and number of syllables and assonance as a preceding one such as ساغب لاغب (which means hungry and tired) and خب ضب (treacherous) and خراب يباب (empty and deserted)."

This means that itbaa consists of two signifiers and that the second one should have the same structure, number of syllables and assonance and may or may not have a meaning. It could only be added to speech in order to emphasize it.

El-Ibrahimi concludes that Itbaa in the case of "هذا جحر ضب خرب" is not proved and that it was only an exception to Arabic grammar rules and a deviation that was made by street users that should not be followed lest it would contribute to deviating the Arab tongue.

الإتْبَاعُ في "رسالة الضبّ" للشيخ محمد البشير الإبراهيمي
-عرض نحوي وتخريج إبيستيمولوجي-

مقدمة عامة:

ما تزال الكثير من الظواهر اللغوية رغم قدمها وتناولها من قبل العديد من الباحثين قديما وحديثا تثير تساؤلات عدة حول طبيعتها وموقف العلماء منها. ويعد الإتباع من تلك الظواهر اللغوية التي تشغل كثيرا من الباحثين ،خاصة أنه يكاد يتواجد في كل المستويات اللغوية، فكان لهم في تحليل هذه الظاهرة مواقف وآراء شتى. ونبتغي في هذا المقال إظهار رأي أحد فطاحل العلم المحدثين، وهو الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، في هذه الظاهرة اللغوية من خلال مؤلفه الموسوم بـ"رسالة الضب"، كونه اهتدى في مراجعة أحد أضربها وهو " الإتباع النّحوي" إلى مناقشة أشهر مثالٍ تراثيّ له، وهو "هذا حجر ضبٍّ خربٍ" على أساس معرفي، استند فيه إلى ضروب من العلم مختلفة كان علم الأحياء أقلّ بضائعه فيه، وبما يكفلُ مراجعة إبيستيمولوجية له، لم تُنسج على مثالٍ سابق، وأيّدتُها شواهد الأقدمين.

1-مضمون "رسالة الضبِّ" :

هي رسالة طويلة كتبها الشيخ في المنفى بـ"أفلُو" وجّهها الأمام إلى تلميذه الأستاذ أحمد ابن أبي زيد قصيبة في مدينة الأغواط، بعد أن أهدى هذا الأخير ضباً محنَّطاً للطفل أحمد نجل الإمام، وكان ذلك بتاريخ 11 شوال 1359هـ.نوفمبر 1940م. [1]

[1] ينظر: أحمد طالب الإبراهيمي: **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ط1، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1997م، هامش ص: 40، وعبد المالك مرتاض: **فنون النثر الأدبي في الجزائر**1931 – 1954، ديوان المطبوعات الجزائرية 1983م،ص: 309 – 310.

تتألف الرسالة من ثمانية فصول غير معنونة. متفاوتة الطّول والقصر.افتتَحها الإمام بالبسملة ، وتوجّه بها نحو" حضرة الفيلسوف ولدنا الأستاذ أحمد بن أبي زيد قصيبة حفظه الله..."[2] هذه الافتتاحية التي تضمّنت إطراءً واضحاً بهذا الفيلسوف" تنادراً ومباسطةً وتظرّفاً"[3] على حدّ قوله، وذلك على ما يبدو حتى يتّسع قلبه لما سيأتي من اعتذاره واستدراكه لقيمة " الضبّ" في تراثنا العربي، وما حُظي به من دراسة لظاهره وباطنه ضمن محيطه الحيوي ، بقوله" وعاتبتكم عتابَ مُغفّلٍ بما معناه أنّ شبَبْتُ عن طوق هذه الأحناش، وما كان ذلك العتابُ إلاّ عنواناً على غفلتي في ذلك الوقت –على الأقلّ–ثمّ فاءَ عليّ عازبُ عقلي وضائعُ فكري، ووضعتُ الضبّ أمامي، وتأمّلتُ خلقتهُ مرّاتٍ في أيّامٍ،فوَ الذي خلق الضبّ والدبَّ، وأنْبَتَ النّجم والأبَّ، فخلق النّوى والحَبّ لقد أذكرني ضبّكم بما كنتُ أحفظُه عمّا قيل في الضبّ وعلى لسانه ، وما ضُرب من الأمثال المتعلّقة به،ما لو خلعْتُ عليه أيّام الصبَا جُدَداً ونَفَضْتُ عليه ماءَ الشَبابِ مِداداً ومُدَداً لم أكُنْ لأذكرَهُ".[4]

ثم إنّه بدا في قوله "رسالة الضب" كما لو كان تعبيراً عن أن هذا الكائن الصغير رسالة ربانية عن قدرته تعالى لاسيما وأن متن الرسالة يحوي الكثير من عجائب هذا المخلوق. ثم إنّها اتخذت من الضب حجة للتبحر في شتى العلوم، لذلك لا عجب أن نعدها رسالة علمية أدبية انتهج فيها نهج القدماء كالجاحظ في حيوانه [5]، بالإضافة إلى كونها لغوية بامتياز إذ وقف فيها ملياً، ولو من باب الاستطراد، على قول العرب: "**هذا جُحْر ضبٍّ خربٍ**" مثالاً للإتباع النّحوي.

---

[2] أحمد طالب الإبراهيمي،**آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ص:40.

[3] الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ص:40.

[4] الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ص:40.

[5] ينظر: عبد الملك بومنجل، **النثر الفني عند البشير الابراهيمي**، بيت الحكمة، ط1، 2009م، ص: 52 –53.

2-الإتباع وموقع الإتباع النحوي منه:

يعدُّ الاتباع ظاهرة صوتية تشكيلية تفطّن إليها اللغويون القدماء منذ وقت مُبكر، وهي ظاهرة تتقاسمها كثير من اللغات الإنسانية، قال ابنُ فارِس (ت 395 هـ): "وقد شاركتِ العربُ العَجَمَ في هذا البَابِ"، [6]

وعرّفه فقال:"هوَ أنْ تَتبَعَ الكَلِمةُعلى وزْنها أو روّيها إشباعاً وتأكيدًا، وذلك قولهم: سَاغِبٌ لاَغِبٌ (فسَاغِبٌ ذُو مَسْغبة أي مَجاعةٌ، و لاغِبٌ: مُتْعَبٌ مِنَ الإِعْيَاءِ) وهو "خَبٌّ ضَبٌّ" (خدَّاع خبيث غشَّاش، وضَبٌّ: مُنْكَرٌ، مُرَاوِغٌ، حَرِبٌ، والضَّبُّ:الغَيْظُ والحِقْدُ وقيل هو: الضِّغْنُ والعَداوة ومُضْمِرٌ للحقد)، وخَرابٌ يبَابٌ (فاليَباب الخَرَابُ، والخَالي لا شيءَ فيه) [7]، فدلّ بذلك على أنّ الإتباع يتركَّب، في العادة، من دالَّيْنِ اثْنَيْنِ، يكون الثّاني زيادةً على أنه في وزْنِ الأول ورويه، إمَّا ذَا مَعْنًى مَعْرُوفٍ، وإمَّا لا معنًى لهُ على الإطلاقِ، وقد أُدْرِجِ ليُثبتَ الكلامَ ويؤكّدَهُ. [8]

وكانتْ الثّمرة الطبيعيةُ أنْ فرّق العُلماءُ بينَ الإتّباع والمُزاوَجة، ذلكَ أنّ القاعدَةَ في الإتّباعِ أنْ تُتبعَ الكلمةُ كلمةً أخْرى مُجانِسَةً لها دُونَ أنْ تَرْبِطَ بينهُما واوُ العَطْفِ، فإذَا جِئْتَ بالوَاوِ فهذِه مُزاوجَةٌ، [9] نحو:" حَيّاك الله وبيّاك ". [10]

---

[6] ابن فارس،**الصاحبي في فقه اللغة**، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة أ.بدران للطباعة والنشر، بيروت 1963م، ص: 270، وابن فارس،**الإتباع والمزاوجة**، تحقيق رودولف بورونو، ط1، جيزن، ألمانيا الغربية، 1906م، ص:2.

[7] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص: 270، وابن فارس، الإتباع والمزاوجة، ص: 2.

[8] التهامي الراجحي الهاشمي،**بعض مظاهر التطور اللغوي**،دار النشر المغربية،الدار البيضاء،1978،ص:60.

[9] ينظر: شواهد ذلك في ابن قتيبة، **أدب الكاتب**،تحقيق: محمد الدالي، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م،ص: 43-48.

[10] أبو عبيد، غريب الحديث، ط1، مصورة عن السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، الهند ، 1976م، ص3: 279-280 ولهذا السّببِ منَ التّفريق اشترط

ومَهْمَا يكُنْ منْ أمْرِ التّفريقِ بينَ الإتْبَاعِ والمُزَاوجَةِ، فإنّه لا بَأسَ كذلكَ منْ التّعويلِ، في رأينَا، على استنْطَاقِ الدّلالَة اللغويةَ لكلٍّ مِنهُما، فالإتْبَاعُ: أنْ تتبَعَ الكَلمةُ كلمَةً أُخرَى مبَاشَرَةً، أي من غيرِ وسَاطَةٍ، والمُزَاوَجَةُ: أنْ تُزَاوِجَ بينَ طَرَفَيْن وتَجْعَلَ منهما زَوْجاً واحداً في السّجعِ أوِ الوَزْنِ، وهذا لا يُمكنُ إلاّ برِبَاطٍ، وهذا الرّابط هو واوُ العطْفِ عَادَةً.[11]

على أنّ كثيراً منْ أئمّةِ اللّغةِ لمْ يغْفَلُوا بَحْثَ الإتبْاعِ بأنواعه في كُتُبهم اللّغويةِ، فقد سمّاه أبو الفتح ابن جنّي (ت 392هـ):»، بـ"تقريب الصوت من الصوت"[12] تارة، و" تقريب حرف من حرف"[13] تارة أخرى موافقاً أبا عثمان المازني (ت 246هـ): فيما ذهب إليه من" أنّ القلْب في صيغة (فُعَّل) مطَّردٌ ، فما كان مُفرَدُهُ على (قائِمٌ، وصائِمٌ)، فإنّ الجمع يأتي فيه على (صُيَّم، وقُيَّمٌ)، غير أنّ الأجْودَ (صُوَّم، وقُوَّمٌ)، على حدّ قوله. وقد أجازت العربُ إبدال الضمّة كسرةً، فتصيرُ (صِيَّم)، امتثالاً لقانون

الكسائي (ت 182هـ)، وأبو عبيد القاسم بن سلاّم ألاّ يُعطَفَ الإتْبَاعُ بأداةٍ.قال أبُو عبيد في " غريب الحديث":وأمّا حديث آدم –عليه السلام–أنّه استَحرَم حين قُتِلَ ابنُه فمكثَ مئةَ سنَةٍ لا يضحكُ ، ثمّ قيل:حَيّاك الله وبيّاك. قال: ومَا بَيَّاكَ؟،قيل:أضْحَكَكَ.فإنّ بعضَ النّاس يقول في بيّاك: إنّه إتباعٌ،وهو عندي على ما في تفسيرِ الحديث أنّه ليس بإتْباع، وذلك أنّ التّابع لا يكادُ يكون بالواو وهذا بالواو ".أبو عبيد، **غريب الحديث**، ص:3/279–280 و ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق :طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، ص:1/ 176 والسيوطي،**المزهر فيعلوم اللغة وأنواعها**، شرح وضبط وتصحيح وعنونة وتعليق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص:1/415.

[11] ينظر:ابن قتيبة،**أدب الكاتب**، ص:43– 48.

[12] ابن جني،**الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، ط2، مصورة، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، 1950، ص:2/143.

[13] ابن جني،**المنصف**، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين وآخرين، ط1، شركة مكتبة البابي الحلبي،القاهرة، 1954م، ص: 2/325.

المماثلة الصوتية، وتوحيد الجهد العضلي، على ما يبدو من قوله" وإنْ شئْت كسرْتَ أوَّلَه وإثباتُ الواو في هذا أجوَدُ". [14]

كما أورد ابن سيده الأندلسي (ت 458هـ): نماذج له في باب (الإتباع) من مخصصه:"، فقال: "وكان أبو عمرو بن العلاء (ت 154هـ) يقرأ: (ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا) وكان أبو حمزة الكسائي (ت 189هـ) يقرأ:(ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا).[15] فمعنى قراءة أبي عمرو (تَبعَ)، ومعنى قراءة الكسائي (لَحِقَ و أَدْرَكَ)"،[16] فدلّا بذلك على أنّ الإتباع الصّوتي هو تناسبٌ بين المتجاورِيْن في النّطق والتخفيف من تماثل العمل الذي يقوم به جهاز النّطق، فيكون العمل من وجه واحد.

ويظلُّ " الإتباع النّحوي" من أهمّ الظواهر الإعرابية التي تقتضي خروج الاسم عمّا يجبُ له من حركة موافقة لما يُجاوره من كلمات أو أحرف، منها قوله تعالى:**الحمْدُ** لِلَّه)[17] التي وردت بوجهيْن: **الحمْدُ** لُلَّه **بالضمّ** إتباعاً للدَّال و:**الحمْدِ** لِلَّه بكسر الدّال إتْباعاً اللاّم.

ولئن كان الحكم بشُذوذ القراءتيْن لا يختلف فيه المفسّرون واللغويون على حدّ سواء، إلاّ أنّ منهم من عمد إلى تعليل سبب الإتباع فيهما أو تخيّر إحداهما.

فها هو الزّمخشري (ت 538هـ) يقول: "قرأ الحسَن البصري (ت110هـ) : (الحمْدِ لِلَّه) بكسر الدّال لإتباعها اللام، وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة (ت152هـ) :(الحمْدُ لُلَّه) بضمّ اللام إتباعاً للدّال ، والذي جسّرهما على ذلك– والإتباع لا يكون في كلمة واحدة، كقولهم : منحدر ومغيرة–نزولُ الكلمتيْن منزلة واحدة لكثرة استعمالهما مقترنتيْن

---

[14] ابن جني،**المنصف**، ص:2/1-2.

[15] سورة الكهف: (18)الآيتان 89، 92.

[16] ابن سيده، **المخصص**، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة، 1317 هـ، 1321 هـ، ص:13/148-149. (الإتباع).

[17] سورة الفاتحة:(01)/الآية 01.

، وأشفُّ القراءتيْن قراءة إبراهيم بن أبي عبلة،حيث جعل الحركة البنائية تابعة للإعرابية التي هي أقوى".[18]

ولعلّ هذا ما حمل ابن جنّي إلى حدِّ استحسان الضمّ في إحداهما لما تحقّقه فيها من سهولة مطلب على الرّغم من إقراره بشذُوذ القراءتيْن: "فكلاهما شاذٌّ في القياس والاستعمال، إلاّ أنّ وراء ذلك ما أذكرُه لك ، وهو أنّ هذا اللفظ كثُر في كلامهم ، وشاع استعمالهُ ، وهم لمّا كثُر في كلامهم أشدّ تغييراً، كما جاء عنهم:(لمْ أكُ) و (لمْ أدِرْ)، فلمّا اطّـــرد هذا ونحـــوه لكثرة استعماله، أتبَعوا أحد الصّوتيْن لآخر، وشبّهُوهما بالجزء الواحد وإنْ كانا جملةً من مبتدأ وخبر، فصارت (الحمْدُ لُلّه) ، كـ"عُنُق" و "طُنُب"،(الحمْدِ لِلّه) كـ"إبِل" و"إطِل"،إلاّ أنّ (الحمْدُ لُلّه) بضمّ الحرفيْن أسهلُ من (الحمْدِ لِلّه) من موضعيْن: أنّه إذا كان إتباعاً ، فإنّ أقيسَ الإتباع أن يكونَ الثاني تابعاً للأوّل، وذلك أنّه جارٍ مجرى السّبب والمسبّب ، والآخر أنّ ضمّة الدّال(الحمْدُ) إعرابٌ وكسرة اللاَّم في (لِلّه) بناءٌ، وحُرمة الإعراب أقوى من حُرمة البناء ، فإذا قلتَ:(الحمْدُ لُلّه) فقريب أن يغلب الأقوى الأضعَف ، وإذا قلتَ: (الحمْدِ لِلّه)، جنَى البناءُ الأضعف على الإعراب الأقوى".[19]

وهو تفضيل لا نجد له ما يعضده من القراءات القرآنية: "فقد لُوحظ أنّ قراءتها بالضمّ، لم تُروَ عن قارئ بعينه، بل جاءت روايةً عن أهل البادية، وهو ما يعتقده من أنّ هذه الظّاهرة كانت شائعةً فيهم، لمَا كان فيها من انسجامِ صوتيّ تتحقّق به السّهولة والسّرعة في الكلام، وقد عزا أبو حيّان الأندلسي (ت هـ) كثيراً من هذه الأمثلة، إلى أزد شنُوءة ، وهم من القبائل التي كانت تسكنُ سروات الحجاز".[20]

---

[18] الزمخشري، **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط2، دار المصحف، القاهرة، 1397هـ-1977م، ص:10/1.

[19] ابن جني، **المحتسب**، ص:37/1-38.

[20] عبده الراجحي، **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**، دار المعارف بمصر،1969م، ص:156.

وهو ما أيّده الأخفش (ت215هـ) قبله بالقول: "قال بعض العرب:(الحمْدِ لِلَّه) فكسره ، وذلك أنّه جعله بمنزلة الأسماء التي ليست متمكّنة ، وذلك أنّ الأسماء التي ليست متمكّنة . تُحرَّكُ أواخِرُها حركةً واحدةً لا تَزولُ عنها".[21]

و تجدر الإشارة هنا إلى أنّ ابن جنّي قد عقد في منصفه لما جاء من أمثلة الإتباع النحوي لدواعٍ صوتية باباً سمّاه (إذا جاورَ الشيءُ الشيءَ دخلَ في كثير من أحكامه)، تصدّر بعضها بالقول :" وقد دعاهُم قُربُ الجوار إلى أن قالوا:"هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ" جَرُّوا الخَرب وهو صفة للأوّل، وأنْشَدُوا:

فإيَّاكُم وحَيَّةَ بَطْنِ وادٍ هَمُوزِ النَّابِ ليسَ لكُم بِسِيّ

جرَّ (همُوز)، وهو من صفة الحيّة، لمُجاورته لوادٍ".[22]

وهو ما سنفصّل القول فيه في المبحث الموالي.

3-" هذا جُحر ضبٍّ خربٍ " بين القياس والتخريج:

1-تمهيد:"القياس" و"التخريج" في اللغة والاصطلاح:

أ-مفهوم القياس:

يتّضحُ معنَى القِيَاسِ في اللّغَةِ منْ قَوْلِهِمْ:"قاسَ الشيءَ يقيسُهُ قَيْسَاً و قِياساً ، واقْتاسَهُ وقَيَّسَهُ:إذا قدَّره على مِثَاله".[23] والقياسُ مصدرُ قايَسَ بين الشَّيئيْن أي قدَّر،وقاسَ الطبيبُ الشَّجَّةَ بالمقياسِ أي قدَّر غَوْرَها به،وبينهُما قَيْس رُمْحٍ وقَيْس إِصْبَعٍ، أيْ قَدَّر.[24] وهو الجَمْعُ بينَ أوّلٍ وثَانٍ يَقْتضِيه في صِحّةِ الأوّلِ صحّةُ الثّاني

---

[21] الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة(ت215هـ)،**معاني القرآن**، تحقيق: فايز فارس،ط2،دار البشير ودارالأمل،1400هـ-1401هـ / 1979م-1981م، ص: 9/1.

[22] ابن جني،**المنصف**، ص: 2/2.

[23] الفيروزآبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد(ت817هـ)،**القاموس المحيط**، مؤسسة فن الطباعة مصر: 253/2، مادة (قاسه).

[24] الزمخشري، **أساس البلاغة**، ص: 530.

وفي فَسَادِ الثّاني فَسَادُ الأوّل، وقد نصّ عليه ابنُ جنّي ضمنَ بابِ (في أنّ مَا قِيسَ على كلامِ العربِ فهو منْ كلامِ العَربِ)منْ كتابِ الخَصَائِص، فقال: "مَا قِيسَ على كلامِ العربِ فهوُ منْ كلامِ العربِ، ألاَ تَرى أنّك لمْ تَسْمَعْ أنْتَ ولا غيرُكَ اسْمَ كلّ فاعِلٍ ولا مَفْعُولٍ، وإنّما سَمِعْتَ البَعْضَ فقِسْتَ عليْه غيرَهُ، فإذا سَمِعْتَ (قامَ زيدٌ) أجَزْتَ ظَرُفَ بِشْرٌ، وكَرُمَ خَالدٌ".[25]

فالقياسُ اللّغوي هو مُوازنةُ كلماتٍ بكلماتٍ أو صِيَغٍ بِصِيَغٍ أو اسْتِعْمالٍ باسْتِعْمالٍ، وهو في المُصطلحِ العِلْمي: تَقْديرُ الفَرْعِ بِحُكْمِ الأصْلِ، ولا بُدَّ منْ أربعةِ أرْكانٍ: أصْلٌ وفَرْعٌ وعِلَّةٌ وحُكْمٌ. جاءَ في الاقتراحِ للسّيوطي نقلاً عنْ ابنِ الأنبْارِي: "وذلك مثْلُ أنْ تُركّب قياساً في الدّلالة على رَفِع مَا لَمْ يُسَمَّ فاعلُه، فتقول:اسمٌ أُسْنِدَ إليهِ الفِعْلُ مُقدّماً مَا عليهِ، فوَجبَ أنْ يكونَ مَرفُوعاً قياساً على الفَاعِلِ، فالأصْلُ هوُ الفَاعِلُ، والفَرْعُ هوَ ما لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ(أيْ المَبْنِي للمَجْهُولِ)، والحُكْمُ هوَ الرَّفْعُ، والعِلَّةُ الجَامِعَةُ هيَ الإسْنَادُ.[26]

لقد ظهرَ القياسُ كمُصْطلحٍ على أيْدِي الفُقهاءِ أوّلاً،واستفادَ منْه اللّغويونَ والنُّحاةُ فانتزَعُوا أصُولَ قَواعِدهم انْتزاعاً منَ العُلومِ الدّينيَةِ ليَضَعُونَها في أقيسَتهم النّحوية، خصوصاً أنّ مُعْظمهُم كانُوا منَ الفُقهاءِ أوْ عُلماءِ الكَلامِ. فها هو السيوطي يقرُّ أصولَ الصّلة التي تجمعُ القياسَ النّحويّ بالقياسِ الفِقْهِي، وذلك فيمَا روَاهُ ابنُ خِلّكانَ (ت 681 هـ) مِنْ أنّ محمداً بنَ الحَسَن الشّيباني(ت198هـ) صاحبَ أبي حَنيفَةَ سَألَ الفرّاءَ (ت 207هـ): "مَا تَقُولُ في رجُلٍ صَلّى فَسَهَا فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ للسَّهْوِ وسَهَا فِيهِمَا؟

---

[25] ابن جني، **الخصائص**:1/ 358 وينظر أمثلة للقياس في:جمال الدين الأنصاري: **شرح جمل الزجاجي**،دارسة وتحقيق: علي محسن مال الله، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1405 هـ- 1985م،ص 355.

[26] السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين، **الاقتراح في أصول النحو**، تصحيح عبد الرحمن بن يحيى،دائرة المعارف العثمانية بحيدر آبد الدكن،الهند1359هـ،ص: 96.

فَفَكّرَ الفرّاءُ سَاعةً ثمَّ قالَ لهُ: لا شيءَ عليهِ، فقَالَ مُحمَّدٌ: ولِمَ؟ قالَ: لأنَّ التَّصْغِيرَ عنْدَنَا لاَ تَصْغِيرَ لهُ وإنَّما السّجْدتَانِ تَمَامُ الصّلاةِ فلَيْسَ للتَّمامِ تَمَامٌ".[27]

ويَظَلُّ القِيَاسُ مِنَ الأُسُسِ المَنْهَجِيَةِ التي مَكَّنَتْ مِنْ نُشُوءِ كَلَمَاتٍ جَديدَةً ولَوْ علَى سَبِيلِ التَّوَهُّمِ أوِ الاشْتِقَاقِ[28]،ومَكَّنتْ مِنْ تَطْوِيرِ دَلاَلَةِ كثيرٍ مِنْ الكَلِمَاتِ اشْتِقَاقاً ومَعْنًى، كتَطَوُّرِ دَلاَلَةِ العَقْلِ مِنْ الرَّبْطِ الحِسّي إلى الرَّبْطِ المَعْنَوِي المُفْضِي إلى الاتِّزَانِ والرَّصَانَةِ في التَّفكيرِ والسُّلُوكِ. فظَهَرَ التَّلازُمُ بيْنَ أمْرَيْنِ يَسْتَدْعِي أحَدُهُمَا الآخَرَ علَى وَجْهِ الضَّرُورَةِ أوْ مَا يُشْبِهُ الضَّرُورَةَ أوْ يُقَارِبُهَا.

ب–**مفهوم التخريج:**

التخريج من: خرج، والخروج نقيض الدّخول. والخَرْجُ والخَراجُ، واحدٌ، وهو شيءٌ يُخرجه القومُ في السَّنة من مالهم بِقَدَرٍ معلُومٍ. والخَرَجُ بالتحريك: لونان سوادٌ وبياضٌ.والخُرْجُ: من الأوعِيَة، عربيٌّ، وهو جُوَالِقٌ ذو أَوْنَيْن[29]، والجمع أَخْرَاجٌ وخِرَجَةٌ.والخَرَاجُ والخَريجُ والتخريج كلّه لعبة لفتيان العرب، نحو قول أبي ذؤيب الهذلي: [30]

---

[27] ابن خلكان أحمد بن محمد شمس الدين، **وفيات الأعيان وأنباء وأبناء الزمان**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948م، ص:227/5.

[28] ينظر، ابن جني: **الخصائص**: 189/1 والزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن، **مجالس العلماء**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الكويت، 1962م، ص: 333.

[29] أونيْن: مثنى أَوْن:وهما جانبا الخُرج. ينظر:أنيس إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، دار الفك، بيروت:33/1، مادة (آن).

[30] ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 1956م: 249/2، 251–253، مادة (خرج) وابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا الهروي، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979م، ص:2 /176، مادة(خرج) وعجز البيت فيه بغير لفظ، واللفظ بتمامه *مخاريق يدعى بينهُنَّ خريج*.

أَرِقْتُ له ذاتَ العِشَاءِ كأنّه مَخَارِيقُ يُدْعَى تَحْتَهُنّ خَرِيجُ[31]

أما في الاصطلاح، فالتخريج هو التماس المعاذير والحيل، إذا ما وجد في شعر ما خروج عن المألوف من القواعد من باب الضرورة الشعرية[32]، وهو ما عبّر عنه الفرّاء(ت207هـ) بقوله:" وذلك أنّ الشّعر له قوافٍ يقيمها الزيادة والنقصان فيحتمل ما لا يحتمله الكلام".[33]ومعنى ذلك أنّ «العرب تلجأ إلى مثل تلك التعديلات في لغة الكلام لموافقة أوزان الشعر وقوافيه".[34]

وقد وجد النّحاة مخرجا لبعض الشعراء وأوّلوا الأخطاء التي وقعوا فيها أثناء نظمهم، إمّا تقويما للقافية أو استواء للوزن.ففي البيت السابق مثلاً "لا يُقالُ خريجٌ،

---

[31] المخاريق: جمع مِخْراق، وهو في الأصل عند العرب: ثوبٌ يُلَفُّ ويَضْرِبُ الصِّبْيانُ به بعضهم بعضاً. ينظر: ابن منظور،**لسان العرب**: 76/10:مادة(خرق).

[32] الضرورة الشعرية عند جمهور علماء اللغة : مخالفة المألوف من القواعد في الشعر، سواء ألجأ الشاعر إلى ذلك بالوزن والقافية أم لم يلجأ.(ينظر:السيوطي،**الأشباه والنظائر في النحو**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ص: 244/1،والبغدادي، عبد القادر بن عمر، **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1387هـ-1967م، ص:34/1. وهم بهذا التعريف يبعدون بالضرورة الشعرية عن معناها اللغوي وهو "الاضطرار مطلقا" بما يخصّص دلالتها ، مماّ يجعل قبول رأيهم هذا ضرباً من إلغاء التفكير المنطقي والتحكّم بغير دليل أو برهان، ذلك أنّ الضرورة الشّعرية في نظر بعض المحدثين ليست في كثير من الأحيان إلاّ أخطاء غير شعورية في اللغة و وخروجاً عن النّظام المألوف في العربية. ينظر: رمضان عبد التواب ، **فصول في فقه العربية**، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1982م، ص: 163.

[33] الفرّاء، **معاني القرآن**، ص:118/3.

[34] محمدالقزّاز القيرواني، **ضرائر الشعر أو كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة**، مقدمة التحقيق،تحقيق: محمد زغلول سلام ومحمد مصطفى هدّارة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص: 113-14.

ولإنّما المعروف" خَرَاجٌ" غير أنّ أبا ذؤيب احتاج إلى إقامة القافية فأبدل الياء مكان الألف". [35]

أمّا عن تعرّض النّحاة لشطر البيت الموالي:

وَزَقَّت الدِّيك بصوتِ زَقَّا

فإنّهم يقولون:" إنّما أنّثه على إرادة الدّجاجة ؛ لأنّ الدّيك دجاجة أيضاً" . [36]

وهو مذهب القزّاز القيرواني(ت412هـ) الذي يعترف بضرورة إقامة الوزن في الشعر، والتغلّب على بعض الصعوبات اللغوية أو التصرّف في وجه من وجوه الألفاظ من حيث البناء والإعراب أو الصياغة في إطار مراعاة النسق في الأصوات وانتظام الإيقاع. [37]

ومن أمثلة اعتماد الضرورة في الشعر قول متمّم بن نويرة:

على مِثْلِ أَصْحَابِ البَعُوضَةِ فَاخْمِشِي لَكِ الوَيْلُ حُرَّ الوَجْهِ أَوْ يَبْكِ مَنْ بَكَى[38]

فقد حذفت لام الأمر، والأصل" لِيَبْكِ"، فقد ذهب البصريون إلى جواز حذفها للضرورة[39]، وهو ضرب من التخريج.وعلى هذا فالضرورة الشعرية هي مالم يرد في الشعر سواء كان للشاعر فيه مندوحة[40]أم لا.[41]

---

[35] ابن منظور: **لسان العرب**، ص: 253/2، مادة(خرج).

[36] محمد عبد الرؤوف، **القافية والأصوات اللغوية**، مكتبة الخانجي،مصر،1977م.ص:132.

[37] محمد القزاز القيرواني، **ضرائر الشعر أو كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة**، مقدمة التحقيق، ص:18.

[38] فاخمشي:أي فاخدشي. ويكون ذلك في الوجه ، وقد يستعمل في سائر الجسد. ينظر: ابن منظور: **لسان العرب**،: 299/6، مادة (خمش).

[39] ابن عصفور علي،**ضرائر الشعر**، تحقيق السيد إبراهيم محمد،دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،ط1، 1980م، ص:102.

[40] لا مندوحة: أي لا سعة أو متّسع. ينظر:ابن منظور: **لسان العرب**، ص:613/2، مادة(ندح).

غير أنّ من العلماء من رأى أنّ غاية ما هناك أنّ الشّاعر يكون مشغولاً بموسيقى شعره منهمكاً بأنغام قوافيه ، فيقع في هذه الأخطاء من غير شعور منه، وهو ما أكّده أبو هلال العسكري(ت358هـ) بقوله عن الضرورة: "وإنّما استعملها القدماء في أشعارهم لعدم علمهم بقباحتها ؛ ولأنّ بعضهم كان صاحب بداية، والبداية مَزَلَّة، وما كان أيضاً تنقد عليهم أشعارهم ولو نقدت وبُهْرِجَ[42] منها المعيب، كما تنقد على شعراء هذه الأزمنة، ويبهرج من كلامهم، ما فيه أدنى عيب، لتجنّبوه".[43]

4-" هذا جحر ضبٍّ خربٍ " في الميزان:

استنطق الشيخ محمد البشير الإبراهيمي"أصول الفكر اللغوي العربي"، فأسهب القول في مضامينه من منطلق النّحو وعلم الإحياء، فكان علم اللغة أقلّ بضائعه وأيسر صنائعه إذا أضافه إلى ما هو عليه من علم حقيق النّحو، وحُوشي العروض، وخفي القافية، وتصوير الأشكال المنطقية، والنّظر في سائر مبادئ العلوم، فكانت فكرة الكسر على المجاورة في قول العرب"**هذا جُحر ضبٍّ خربٍ**" ممثلةً في الإتباع النّحوي، من أهمّ دلائله، فانتهى، بعد سَوْق شواهد وتحليل أخرى، إلى القول:

"...(هذا جُحر ضبٍّ خربٍ) يمثلون به للجحر بالمجاورة أو بالتوهّم لا أدري، وإنما الذي أدريه هو أن هذا النوع من الجر مسموع من العرب، وهو من شذوذاتهم اللغوية وانحرافاتهم عن مقاييس لغتهم، وهو مقبول منهم لكنه مقصور على ما سمع منهم، فلا يسوغ لنا نحن طرده من كلامنا حتى لا نفسد اللغة على أنفسنا بهدم القواعد

---

[41] ابن فارس، **الفرْق**، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض،1402هـ-1982م،ص:143.

[42] البهرج: الباطل،و كلٌّ مردود عند العرب بهْرَجٌ ونَبَهْرَجٌ.. ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**،:217/2، مادة(بهرج).

[43] أبو هلال العسكري، **الصناعتين**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،ط2،دار الفكر العربي، ص:157.

الصحيحة والجري على غير منهاج، ولهذه الشذوذات في العربية فلسفة خاصة لم يشبعنا احد بالحديث عنها حتى الآن، ولو وجدت متسعًا من الوقت لكتبت فيها ما يصّح أن يكون نواة في الموضوع، إذ تعاهده الباحثون أصبح شجرة ذات أكل شهي. ولفيلسوف هذا الفن أبي الفتح عثمان بن جني جمل متفرقة في هذا الموضوع لكنها تنطوي على نظرات سديدة وتدلّ على انفساخ ذرع الرجل في هذا العلم، وإذا كان هذا النوع من الجر مسموعًا موقوفًا على السماع فلست على ثقة من أن مثال النحاة مسموع من العرب وإنما هو مثال سوقي انتحلوه، ثم قلّد آخرهم أولهم فيه على عاداتهم، وهل يصحّ لهم أن يمثلوا لمسألة سماعية بمثال مصنوع ؟[44]

ثمّ أجاب الشيخ الإبراهيمي ،على هذا الاستفسار على ذلك بالقول:

"ودليلي على أن المثال مصنوع أمران: [45]

الأول: أن نطق العرب لا يساعد على ما ادّعاه النحاة فيه ،لأن كلمة خرب التي يدّعي النحاة جرّها جاءت مقطعًا في الجملة لم تعقبها كلمة أخرى، فإذا نطق بها عربي نطق بها ساكنة الأخر بلا شك، فمن أين يظهر الجر الذي ادّعوه فيها ؟ ووددت لو ذاكرت بعض نحاة العصر المفتونين بالمباحث اللفظية العقيمة في هذا التوجيه لأسمع رأيهم، وما عسى أن يأتوا به من حجج فارغة، وكم من كلام الفارغين من تسلية للهم وتزجية للوقت وترويح للخواطر المكدودة بشرط أن يكون السّامع موفور الحظ من الصبر.

و**الثاني:** أن معنى المثال على برودته وجفافه لا يتفق مع ما يعرف العرب من الضبّ من أنه لا يحفر جحره إلا في الكدى (جمع كدية) وهي جبيل صلب الأرض متماسك التراب، ولذلك يضيفونه إليها كثيرًا فيقولون: ضب الكدية، وضب الكدى،

[44] الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص :44.

[45] الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص:44-45.

يستعملون هذا كثيرا في كلامهم، وفي مقصورة ابن دريد، بيت مختوم بضب الكدى ولا أذكرها الآن وليس عندي ما أراجعها فيه ، وقد قال الشاعر:

سقى الله أرضًا يعلَمُ الضبّ أنّها بعيدٌ عن الأدواءِ طيّبةُ البَقْل
بنَى بيتَهُ فيه على رأسِ كُدْيَةٍ وكلُّ امرئٍ في حرْفَة العَيْش ذو عَقْل

فقد وصف هذه الأرض التي اختارها الضبّ لسكناه ،بأن الضبّ– وهو الاختصاصي في هذه الهندسة– كأنه يعلم أنها بعيدة من الآفات ، وأكبر الآفات في نظر الضبّ السقوط والانهيار والخراب.

وقال الشاعر الأخر فزاد المعنى المراد توضيحًا، وهو يتحدث عن الضبّ:

ويحفرُ في الكدى خوفَ انهيارٍ ويجعلُ بيتَه رأسَ الوَجينِ

والوجينُ :هو الأرض الصلبة الغليظة، ومن هذه الكلمة جاء قولهم :رجل موجّن ،قوي عظام الأضلاع والصدر .ومنها ميجنة الثياب ،آلة تدق بها ،ومنها جلد موجّن :مضروب بعد الدبغ حتى تتداخل أجزاؤه وتلطف فيلين مع القوة .فهذا البيت شاهد على أنه "ليس جحر ضب خربًا "،ولهذه الخاصية في اختيار الضبّ للكدى، تصفه العرب بصفة ملازمة فيقولون "ضب دامي الأظافير "جمع أظفور. قال الشاعر:

تَرَى الشرّ قد أفنَى دوائرَ وجهِه كضبّ الكُدَى أفنَى أنامِلَه الحَفْرُ

ومن تهكّمات المعري وهمزاته أنّ صاحبه أبا القاسم المغربي المشهور في علم التاريخ والأدب بالوزير المغربي، اختصر في حداثة سنّه كتاب "إصلاح المنطق" ليعقوب ابن السكيت، وأهدى منه نسخة إلى صفيّه المعرّي، وكانت بينهما أسباب متينة العرى ، فكتب له المعرّي جواب الإهداء رسالة من أبدع رسائله ، وفيها نقد لكتاب ابن السكيت على طريقة المعرّي الغريبة في سخريته العجيبة يقول فيها، إن لم تخني الذاكرة."وقد أكثر يعقوب من الاجتهاد ،في إقامة الأشهاد – يعني الشواهد–

حتى ذكر رجز الضبّ وكان مَعَدًّا من ذلك لجِدُ مُغْضَب ، أعَلَى فصاحَتِهِ يُسْتَعانُ بالقَرْض، ويُسْتَشْهَدُ بأحناش الأرض ، ما رُؤبَةُ عنده من نفير ، فما قَوْلُكَ في ضبّ دامي الأظافير ..." وهذه الرسالة الرائعة مطبوعة مصحّحة فيما طبع "كامل كيلاني"مع رسالة الغفران ، فإن كانت عندك فراجعها ، فلعلّ الحافظة لم تضبط ألفاظها ، ومحل الشاهد فيها لموضوعنا وصفه الضب بما كانت تصفه العرب من أنه "دامي الأظافير" ولا سبب لذلك إلا حفرة لجحره في الكدى الصلبة ، وهذه كلها دلائل على فساد مثال النحاة إعرابًا ومعنًى . ولا ننكر أن بعض جحر الضِباب تخرب ،وقد خربت مدائن الرومان والفراعنة فضلًا عن جحور الضباب ، ولكنه بارد جاف متخاذل خاذل لحافظه ، إذ يوهمه خلاف الواقع ، ومنه ومن أمثاله خذل المتأدبون بكتب النحو الذين قعدت بهم همّتهم عن التأدب بلغة العرب من شعرهم وخطبهم ، ولم يحصل واحد منهم ملكة صحيحة في هذه اللغة ولا ذوقًا صحيحًا في أدبها ، والواجب في الأمثال أن تكون جملًا حكيمة ذات معان مستقيمة وألفاظ قوية حتى يحصل الحافظ لها فائدتين : الحكم اللفظي والمعنى الذي يترك أثرًا في النفس ، ومن مجموع هذه الأمثلة يتكوّن الأدب والأديب . وقد نعى ابن خلدون في زمنه هذا الذي نعيناه وانتقد من مزاولي النحو ما انتقدناه– وهو لعمري– نقد صريح ما عليه غبار. [46]

غير أنّ ما ذهب إليه الشيخ الإبراهيمي يستقيم، في رأينا، من جهة:

–أن أحسن مرتبة في الاتباع، من ناحية المجانسة الصوتية، أن يكون الدال الثاني مكوّنا مع الدال الأوّل مجانسة صوتية تستريح إليها النّفس ولو لم يكن لهذا اللفظ معنى على الإطلاق. [47]وهو ما صرّح به أبو العباس ثعلب (ت 291هـ) نقلا عن ابن الأعرابي(ت 231هـ): "أنه سأل بعضهم عن قولهم: "شيطانٌ ليْطانٌ"، معنى

[46] الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص:45–46.

[47] التهامي الراجحي الهاشمي،**بعض مظاهر التطور اللغوي**، ص: 60.

ليطان؟ فقال: شيء نَتِدُ به كلا منا"[48]، فكان ذلك تصريحاً منه بالغرض المطلوب من الاتباع. وهو ما أكّده ابن جني بقوله: "ولهذا وقع الإتباع في كلامهم نحو قولهم: "شيطانٌ ليطانٌ"؛ لأنهم أرادوا أن يؤكِّدوا الكلام فكرهوا إعادة اللفظة بعينها، فغيّروا بعض حروفها، وتركوا الأكثر، ليعلموا أنّه في توكيد الأول، كما قالوا: قام القوم أجمعون أكتعُون أبصعُون".[49]

-أنّهم "قالوا:(هذا جُحرُ ضبّ خربٍ)، فجرّوا " الخَرب" وهو من صفة المرفوع ، ولكن لمّا وَلِيَ المجرور جُرَّ تباعاً، وهو غلطٌ منهم ".[50]

وهو ما عبّر عنه شيخنا البشير الإبراهيمي مُستدركاً:" ولكن المثال البارد الفج "الصّامط"[51] الذي لا يثير في النفس اهتمامًا بل يثير اغتمامًا هو المثال الذي تعلّمناه من كتب النحو"[52]، عطفاً على قول ابن جنّي: "وقالوا: فيما هو أغلظُ من هذا"، وقصدا به "هذا جحر ضبّ خَربٍ" ، و فيه من توهّم الجرّ بعد الذي دلّل عليه الشيخ ممّا لا يخفى على خافٍ.

خاتمة

إنّ مثال الإتباع النحوي في قول العرب:"هذا جحر ضبّ خَربٍ" ممّا لا يجوز أن يُحمل في نظر الشيخ الإبراهيمي على أصغر أتباع علماء العرب ،فضلاً عن العرب أنفسهم، ولا محالة أنّ ما لحق هذا المثال من تأويل -يعدّ قياس العرب براءٌ منه- أتاه من قبَل التوهُم، وغياب النّظير، لقول الشيخ معقباً :" وإنما هو مثال سُوقي انتحلُوه

---

[48] ثعلب، **مجالس ثعلب**،تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1965-1960م:1/ 8.

[49] ابن جني، **المنصف**،: 2/ 325.

[50] ابن جني، **المنصف**:2/ 325.

[51] كلمة عامية معناها ثقيل الظل.

[52] الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص:44.

،ثم قلّد آخرهم أولهم فيه على عاداتهم"،[53] فدلّ بذلك على أنّ الإتباع النّحوي في الشعر دعت إليه الضّرورة الشعرية ، وأنّ حاجة العرب إليه جاءت طلباً لاقتصاد لغويّ وأنّ الجرّ بالمجاورة في لغة العرب شاذٌ في القياس والاستعمال، وهو ما عبّر عنه ابن جنّي بقوله:" وهذا بابٌ واسعٌ لا يُضبَطُ".[54]

[53] الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص:44.

[54] ابن جني، **المنصف**، ص: 2/ 325.

المصادر والمراجع:

**القرآن الكريم.

-الإبراهيمي، أحمد طالب،**آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت ، 1997.

-ابن الأثير، أبو الفتح نصر الله ضياء الدين (ت 637 ه)،**النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة.

-بن جني، أبو الفتح عثمان(ت392ه:)

***الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، ط2، مصورة، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، 1950.

***المحتسب**، تحقيق :علي نجدي ناصف وعبد الحميد النجار و عبد الفتاح إسماعيل شلبي،القاهرة،1994.

***المنصف**، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين وآخرين، ط1، شركة مكتبة البابي الحلبي،القاهرة، 1954.

-ابن خلكان، أحمد بن محمد شمس الدين (ت681ه)،**وفيات الأعيان وأنباء وأبناء الزمان**، تأليف أبي العباس شمس الدين أحمد ابن خلكان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948.

-ابن سيده،علي بن إسماعيل (ت458ه)،**المخصص**، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة، 1317 – 1321.

-ابن عصفور الإشبيلي، علي بن مؤمن بن محمد (ت669ه)**ضرائر الشعر**، تحقيق السيد إبراهيم محمد،دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،ط1، 1980.

-ابن فارس،أبو الحسين أحمد بن زكريا الهروي(ت 395ه)

***الإتباع والمزاوجة**، تحقيق رودولف بورونو، ط1، جيزن، ألمانيا الغربية، 1906.

***الصاحبي في فقه اللغة** ، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة أ.بدران للطباعة والنشر، بيروت 1963.

***الفرْق**، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض،1402ه-1982.

*__معجم مقاييس اللغة__، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979 .

* ابن قتيبة،أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ) ،__أدب الكاتب__ ،تحقيق: محمد الدالي، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986 .

-ابن منظور ،أبو الفضل جمال الدين (ت 711 هـ)،__لسان العرب__، دار صادر، بيروت،1956.

-ابن هشام لأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين(ت 761هـ)،__شرح جمل الزجاجي__، دارسة وتحقيق: علي محسن مال الله، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1405 هـ- 1985.

-أبو عبيد ، القاسم بن سلاّم الهروي(ت 224هـ)،__غريب الحديث__،ط1،مصورة عن السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، الهند ، 1976.

-أبو هلال العسكري ،الحسن بن عبد الله (ت 395هـ)،__الصناعتين__، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،ط2،دار الفكر العربي،دت.

-الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة(ت215هـ)،__معاني القرآن__، تحقيق: فايز فارس،ط2،دار البشير ودارالأمل،1400هـ-1401هـ / 1979م-1981.

-أنيس، إبراهيم وآخرون،__المعجم الوسيط__، دار الفكر، بيروت.

-البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ)،__خزانة الأدب، ولبّ لباب لسان العرب__،تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1387هـ-1967 .

-بومنجل ، عبد الملك ، __النثر الفني عند البشير الابراهيمي__، بيت الحكمة ،ط1، 2009.

-ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى(ت 291 هـ)،__مجالس ثعلب__ ،تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1965-1960.

-الراجحي، عبده،__اللهجات العربية في القراءات القرآنية__،دار المعارف بمصر،1969.

-الزجاجي،أبو القاسم عبد الرحمن (ت 340 هـ)،__مجالس العلماء__، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الكويت، 1962م.

-الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد (ت 538 هـ):

*__أساس البلاغة__، تحقيق: عبد الرحيم محمود، بيروت، لبنان،دت.

*__تفسير الكشاف__، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط2، دار المصحف، القاهرة، 1397هـ-1977.

-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين (ت 911هـ) :

*الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.

*الاقتراح في أصول النحو،تصحيح عبد الرحمن بن يحيى،دائرة المعارف العثمانية بحيدر آبد الدكن،الهند1359.

*المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط وتصحيح وعنونة وتعليق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

-عبد التواب، رمضان ،فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض،ط2، 1982.

-عبد الرؤوف، محمد، القافية والأصوات اللغوية، مكتبة الخانجي،مصر،1977.

-الفرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت 207هـ): معاني القرآن، تحقيق: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت،ط 1985،1.

-الفيروزآبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد(ت817هـ)، القاموس المحيط، مؤسسة فن الطباعة مصر.

-القزّاز القيرواني،أبو عبد الله محمد بن جعفر (ت 412هـ)،ضرائر الشعر أو كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة، تحقيق: محمد زغلول سلام ومحمد مصطفى هدّارة، منشأة المعارف ، الإسكندرية.

-الهاشمي، التهامي الراجحي، بعض مظاهر التطور اللغوي،دار النشر المغربية،الدار البيضاء،1978.

-مرتاض، عبد المالك، فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931 - 1954، ديوان المطبوعات الجزائرية 1983.

References

The Holy Quran.

Abdu Raouf, Muhamad: *Rhyme and Language Sounds*, (Egypt: El-Khanji Library, 1977).

Abduttawab, Ramadan, *Chapters in Arabic Philology*, (Cairo: Second Edition, El-Khanji Library, 1982) and (Ryadh: Dar Er-Rifae, n.d.).

Abu Obeid, El-Kasim Ben Sellam El-Harawi: *Ghareebo El-Hadith*, (Heiderabad, Dakan, India: First Edition, copied from the new series of Ottoman Encyclopedia Editions, 1976).

El-Akhfasho El-Awsat, Saeed Bnu Masaada: *Maani Elquran*, Revised by Fayez Fares, Second Edition, (n.p., Dar El-Bashir and Dar El-Amel, 1979-1981).

Al-Rajhi, Abdu: *Arabic Dialects in Quranic Readings*, (Egypt: Dar El-Maarif, 1969).

El-Askari, Abu Hilal El-Hassan bnu Abdillah: *Essinaateyn*, Revised by Ali Muhamad El-Bajawi and Muhamad Abu El-Fadl Ibrahim, (n.p., Second Edition, Dar El-Fikr El-Arabi, n.d.).

El-Baghdadi, Abdelkader bnu Omar: *Khizanatu El-Adab wa Lobb Loubabi Lesan El-Arab*, Revised by Abdu Assalam Muhamad Harun, (n.p., Dar El-Kitab El-Arabi for Publishing, 1967).

Boumandjel, Abdelmalek: *El-Bashir El-Ibrahimi's Literary Prose*, (n.p., First Edition, 2009).

El-Fairouzabadi, Abu Tahir Majdueddine: *El-Qamous El-Moheet*, (Egypt: The Arts of Publishing Company, n.d.).

El-Farra', Abu Zakarya Yahya bnu Zayad: *Meanings of Quran*, Revised by Muhamad Ali Ennajar Et. al., (Beirut: Aalem El-Kotob, 1985).

El-Firak, Revised by Ramadan Abdettowab, (Cairo: Al-Khanji Library and Ryadh, Dar Errifae,1982).

El-Hashimi, Touhami Al-Rajhi: *Some Aspects of Language Evolution*, (Casa Blanca: Moroccan Publishing House, 1978).

El-Ibrahimi, Ahmed Taleb: *The Works of Mohammed El-Bachir El-Ibrahimi*, (Beirut: First Edition, Dar El-Gharb El-Islami, 1997).

El-Mohtassib, Revised by Ali Nejdi Nassefet, (Cairo: al, 1994).

El-Monsif, Revised by Ibrahim Mostafa et. al., (Cairo: First Edition, El-Babi El-Halabi Library Company, 1954).

El-Qazzaz El-Qirawani, Abu Abdullah Muhamad bnu Jaafar: *DaraeroEshi'r or what the Poet is Exceptionally Allowed to Say*, Revised by Muhamad Zaghlul Salem Et. Al., (Alexandria: El-Maarif Foundation, n.d.).

Essahibi fi Fikhi El-Logha, Revised by Mostapha Showeimi, (Beirut: Badran's Publishing Company, 1963).

Ibn el-Atheer, Abu El-Feth Nasrallah Diao Ed-Dine: *Ennihaya fi Ghareeb El-Hadith we L'Athar*, Revised by Ahmed Zaoui & Ahmoud Mohammed Tannahi, (Cairo: Dar Ihyae El Kotob El-Arabia, n.d.).

Ibn Faris, Abu El-Hossein Ahmad ben Zakrya El-Harawi: *El-Itbaa we El-Mozawaja*, Revised by Rudolph Bruno, (West Germany: First Edition, s.l., 1906).

Ibn Hisham El-Ansari, Abu Muhamad Abdallah Jamaleddine: *Sharho Jomali Zajjaji*, Revised by Ali Mohsin Malallah, (Beirut: First Edition, Alam Elkotob, 1985).

Ibn Jenny, Abu El-Fath Othman: *El-Khassaes*, Revised by Mohammed Ali Ennajar, (Beirut: Second Edition, Dar El-Hoda Littibaa wa Ennashr, 1950).

Ibn Khillikan, Ahmad ben Muhamad Shamseddine: *Wafayatu El-Aayane we Anbaa wa Abnaa Ezzamane*, Revised by Muhamad MohyEddine Abdelhameed, (Cairo: First Edition, Egyptian Renaissance Library, 1948).

Ibn Koteiba, Muhamad Abdullah ben Moslim: *Adabo El-Katib*, Revised by Muhamad Eddali, (Beirut: Third Edition, Risala Company, 1986).

Ibn Mandoor, Abu El-Fadl Jamaloeddine: *Lesan El-Arab*, (Beirut: Dar Sadir, 1956).

Ibn Osfour El-Ishbili, Ali Ben Mo'min ben Mohammed: *DaraeroEshir*, Revised by Seyyed Ibrahim Mohammed, First Edition, (n.p., Dar El-Andalus for Printing and Publishing, 1980).

Ibn Seeda, Ali Ben Ismael: *El-Mokhassas*, Boulaq, Cairo: El-Ameeria Printing House, 1337 H. and 1321 H.

Ibrahim, Anis: et.al. *El-Moajamo El-Waseet*, (Beirut: Dar El-Fikr, n.d.).

Moajam Maqaees El-Logha, Revised by Abdussalam Muhamad Haroon, Dar El-Fikr for Publishing, 1979.

Mortad, Abdelmalek: *The Arts of Literary Prose in Algeria from 1931 to 1954*, (Algeria: University Publishing Office, 1983).

Soyouty, Jalalueddine Abdu Rahman ibnu KamaliEddine: *Al-Mozhir fi Oloum El-Logha wa Anwaaiha*, Revised by Muhamad Ahmad Jad El-Mawla Et. al., (Beirut: Dar El-Jil, Dar El-Fikr for Publishing, n.d.).

Soyouty, Jalalueddine Abdu Rahman ibnu KamaliEddine: *El-Ashbahu wa Ennadaero fi Ennahw*, (Beirut: Dar El-Kotob El-Ilmya, n.d.).

Soyouty, Jalalueddine Abdu Rahman ibnu KamaliEddine: *El-Iktirahu fi Ossouli Ennahwe*, Corrected by Abdu Rahmanbnu Yahya, (Heydar Abad Dekan, India: The Ottoman Encyclopedia, 1359 H.)

Thaaleb, Abu El-Abbas Ahmad bnu Yahya: *Majalis Thaaleb*, Revised by Abdu Salam Muhamad Harun, (Egypt: Dar El-Maarif, 1960-1965).

Zajjaji, Abu Alqasim Abdu Rahman: *Majaaliso El-Olamaa*, Revised by Abdu Salam Muhamad Harun, (Kuweit: s.l., 1962).

Zamakhshari, Abu El-Qasim Mahmoud bnu Omar bnu Muhamad: *Assaso El-Balagha*, Revised by Abdurrahim Mahmud, (Beirut: s.l., n.d.).

Zamakhshari, Abu El-Qasim Mahmoud bnu Omar bnu Muhamad: *Tafseero Al-Kashaf an Hakaeq Tanzil wa Oyoun Al-Aqaweel fi Wojouhi Et-Ta'weel*, (Cairo: Second Edition, Dar El-Moshaf, 1977).